علم المناسبات في القرآن الكريم
- دراسة في النظرية والتطبيق-

أ. د محمد كاظم الفتلاوي

جامعة الكوفة / كلية التربية المختلطة

The Science of Proportionality in Qur'an: Study in Theory and Practice

Prof. Dr Muhammad Kazem Al-Fatlawy

University of Kufa / College of Education

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

من المعلوم أنَّ علوم القرآن الكريم تشتمل على علوم كثيرة؛ وهذه العلوم منها ما هو متعلق بالنص القرآني ومضمونه وتسمى علوم القرآن الموضوعية، كعلم المحكم والمتشابه وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم القصة وغيرها، ومنها علوم تتعلق ببيئة النص الخارجية وتسمى بعلوم القرآن التاريخية، وتشمل علم أسباب النزول وعلم القراءات وغيرها من العلوم.

وموضوع بحثنا هنا هو علم المناسبة وهو من علوم القرآن الموضوعية، التي لها علاقة مباشرة في النص القرآني، وتأتي أهمية دراسة علم التناسب في القرآن الكريم كونه يُعين المفسّر عند دراسة السورة القرآنية وعلى معرفة وجوه التناسب فيها، ويلقي الضوء على محورها، ويبين الغرض الكلي لها، وهذا يساعد على تحديد الزاوية التي ينطلق منها المفسر في بيان الآيات الكريمة، كما أنه يكشف لنا وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني.

كلمات مفتاحية: (المناسبة، المناسبات، التناسب، التناسق، القرآن).

Abstract

It is known that the sciences of the Holy Qur'an include many sciences. These sciences include those related to the Qur'anic text and its content and are called the objective sciences of the Qur'an such as the science of the decisive and the similar, the science of the abrogated and the abrogated from, the science of the story, etc. Among these sciences are the ones related to the external environment of the text which are called the historical sciences of the Qur'an. They include the science of the causes of revelation, the science of readings, and others.

The subject of our research here is the science of proportion, which is one of the objective sciences of the Qur'an, which has a direct relationship to the Qur'anic text. The importance of studying the science of proportionality in the Holy Qur'an comes from the fact that it helps the interpreter when studying the Qur'anic surah and to know the aspects of proportionality in it. It sheds light on its axis and explains its overall purpose. This helps determine the angle from which the interpreter starts in explaining the noble verses. It also reveals to us an aspect of the Qur'anic miracle.

Keywords: appropriateness, proportionality, consistency, science, the Qur'an

المقدمة..

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

اما بعد..

اهتم العلماء بتنوع اختصاصهم وتباين فنونهم بدراسة النص القرآني، منذ أول نزوله المبارك على نبينا الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) ومازالت نصوصه الكريمة تشع وهجاً في كل علم وغضة مهما بالغ العلماء من الجهد وتوظيف آليات العلم وفنونه فيه، ومن العلوم التي أضاءت للمتدبر في آيات القرآن الكريم هو علم المناسبة، لما فيه من مزيج من العلم المحض وكذلك الفن والذوق.

فهو علم يعتمد على مساق النص القرآني، ويكون في آيات القرآن الكريم وتتابعها سواء في السورة الواحدة أو في السور المجاورة، وكذلك مع مقصد كل سورة وأخرى، ومن جانب آخر فهو علم يعتمد في بيان تناسب الآيات القرآنية على الذائقة التفسيرية للمفسر وسعة جهده في إيجاد الرابطة بينها، وذلك لأنه علم اجتهادي لا توقيفي.

وأما سبب اختيار موضوع البحث هذا فيكمن في كونه خدمة للقرآن الكريم، فالمفسرون الذين اعترفوا بهذا العلم قلّة رغم انه موجود في القرآن الكريم، وعليه اقتضى بيان هذا العلم لأهميته.

وكذلك ان في جوهر هذا العلم ردٌّ للشبه التي يثيرها المنحرفون ممن يشككون في سماوية النص القرآني، وكذلك ما يثيره المستشرقون وغيرهم حول تاريخ جمع القرآن الكريم، وزعمهم ان هناك زيادة فيه والنقص منه!، إذ لم يكن حفظ آيات وسور القرآن المجيد وصونها من التحريف

موكولاً لأحدٍ من البشر.

كما لا يدعي الباحث ان له الريادة في الكتابة بهذا العلم وموضوعه، فقد كانت هناك دراسات أكاديمية سابقة اطلع عليها الباحث من قبل الشروع في كتابة بحثه هذا، وكانت سبب لتأكيد البحث في هذا العلم لما وجد فيها من التسامح في عدم ذكر آراء لعلماء ومفسرين من المدارس الإسلامية الأخرى، وكذلك نظرتها الأحادية لزاوية معينة من علم المناسبات من غير الرؤيا الشمولية لكثير من جزئياته، وهذا لا يعني بطبيعة الحال بخس حق لهذه البحوث والدراسات، فقد انتفع الباحث من بعضها في موارد معينة من بحثه هذا.

وكان من هذه البحوث والدراسات السابقة:

١- علم المناسبات في السور والآيات، محمد بن عمر بن سالم بازمول، ٢٠٠٢م.

٢- أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية، د. الفاضل عبد الحكيم الأنيس، ٢٠٠٢م.

٣- علم المناسبات وموقف العلماء منه، أحمد بن محمد بن قاسم، ٢٠١٠م.

٤- علم المناسبات في القرآن الكريم -دراسة تأصيلية-، الباحث: أحمد ماهر سعيد ناصر، ٢٠١٨م.

٥- آراء العلماء في تطلب المناسبات بين السور والآيات، د. طارق يوسف إسماعيل سليمان، ٢٠١٩م.

٦- علم المناسبات وتطوره الدلالي عند المفسرين، د. عدنان بن محمد أبو عمر، ٢٠٢٢م.

أما خطة البحث فكانت مكونة من مطالب ثلاثة يرى الباحث فيها الكفاية للتعرف على هذا العلم من حيث مفهومه وموقف العلماء

والمفسرين منه، وأهميته وشروطه وثمرته على المتدبر، وقد كانت على النحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم علم المناسبة في القرآن الكريم

أولاً: المقصود بالمناسبات:

المناسبات: جمع مؤنث سالم، مفردهُ مناسبة، والمناسبة في اللغة: تأتي لمعانٍ عديدة منها[1]:

١- الملاءمة.

٢- المشاكلة.

٣- المشاركة.

٤- المقاربة.

ويلاحظ أنه تكاد تتفق آراء أصحاب المعاجم اللغوية على أن المناسبة تعني المشاكلة، أو المقاربة، أو الارتباط بين شيئين في نسق واحد.

المناسبة في الاصطلاح: ذكر العلماء تعريفات لهذا العلم بحسب اختصاصهم وفنهم، إلا أنَّ الذي يعنينا ها هنا هو تعريف المفسرين وعلماء التفسير وان كان جميع هذه التعريفات تنتهي الى معنى واحد هو:

علم تعرف بوساطته علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم من حيث أوجه الارتباط بين آيات القرآن المجيد مع بعضها، وعلاقة السورة بما بعدها وما قبلها[2].

فوظيفة المناسبة بهذا المضمون ينتفع منها في بيان علل الترتيب بين أجزاء القرآن الكريم، وهذا الانتفاع يوظف من خلال معرفة سر البلاغة فيه، وحين ذاك يتحقق صدق القول ومطابقته لمقتضى الحال ومعبر عنه.

مما سبق ننتهي إلى أن التناسب فن يكون بين الألفاظ من حيث البنية أو الدلالة، أو بين الألفاظ والسياقات التي ترد فيها من حيث الشكل أو المعنى، وبتعبير آخر هي وضع اللفظ في موضعه الذي يليق به حتى يتم

لـه الحسن في الأداء والبلاغة في بيان المعنى من الكلام.

إذن يتعدى البحث فيها إلى بيان العديد من نظم الآيات من تقديم وتأخير وحذف وذكر وتناسب في الصيغ والفواصل، والألفاظ والمعاني، وغير ذلك مما له تعلق بمقتضيات أحوال التركيب والترتيب، وإدراك المقامات والأحوال المقتضية لها على ما قرره البقاعيكما تقدمبأن جعل جل موضوع (التناسب) بالغ مهمته إيجاد (علل الترتيب والتركيب).

نعم... قد عبر بعض العلماء والباحثين عن علم المناسبة بنظام القرآن، وبعضهم يبحثه تحت ما يسمى بمصطلح الوحدة الموضوعية، والوحدة البنائية والوحدة العضوية، والانسجام، والتناسق، وروح التركيب، وآخرين عدوه من آليات ترابط النص القرآني[٣].

وان اختلفت آراء العلماء حول مصطلح التناسب في القرآن الكريم، ولكن لا مشاحة في المصطلح ما دام الهدف واحداً[٤].

وهذا العلم في حقيقته يحتاج الى فكر وقاد وبصيرة نافذة في مقاصد القرآن الكريم، وذوق يتمتع به المفسر في استشعار نظم القرآن الكريم وبيانه المعجز، وإلى تناغم وانسجام مع ظرف التنزيل، وهذه الالتفاتات غالباً ما يكون الهدي إليها عند المفسر على صور ايحاءات روحية أو توفيقات ذهنية.

والتعبير المتعارف عند علماء البلاغة والتفسير عن مضمون مصطلح (التناسب) هو مصطلح (المشاكلة)؛ و(المشاكلة) تعني أصل من أصول اللغة العربية، تُطْلَب في الكلام، ويُترك لأجلها ما يقتضيه الميزان الصرفي أو القواعد الإعرابية، ويقصدها الفصحاء والبلاغيون؛ لما لها

من جمالية بيانية وحس ذوقي.

ثانياً: الفرق بين المناسبة والنظم:

يتَّضح من مضمون التعريفات السالفة لمصطلح المناسبة أو التناسب، أن هناك تقارباً كبيراً بين علم المناسبة والنظم.

وهذا ما نلحظه على من أطلق على التناسب اسم النظام، جاعلين من مضمون كلا المصطلحين مضموناً واحداً، وهذا الأمر واضح عند الشيخ عبد الحميد الفراهي الهندي (ت:١٣٤٩هـ)، إذ قال: (ومرادنا بالنظام أن تكون السورة وَحدة متكاملة، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة... وعلى هذا الأصل، ترى القرآن كله كلاماً واحداً ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخِر)[٥].

وإن كان التناسب علم اجتهادي وله علاقة بالنظم، والشكل البنيوي للقرآن الكريم، فإنّه لا يتم التحقق من هذا الأمر، إلاّ بكشف براعة ذلك النظم، وتلك البنية الموضوعية، من خلال السورة الواحدة، والتي يبدو أحياناً أنّ لها مقاصد شتى، وأفكاراً عدة مختلفة متباعدة، والحقيقة عكس ذلك تماماً، إذ الناظر فيها، والمدقق لها يرى تلك اللحمة من الأفكار، وذلك التناسق في العبارات، والألفاظ، وذلك التوافق، والتناغم في الفواصل، والموسيقى من بداية السورة إلى نهايتها، وكيف يقلب العجز على الصدر، حتى تبدو لك تلك الأفكار ملتئمة متزاحمة تصب جميعها في قالب واحد، يمثل موضوع السورة.

إذن النظم أعم من المناسبة، فالمناسبة جزء من النظام، ويمثل هذا الاتجاه مجموعة من الباحثين منهم المفسر الفراهي الهندي، ومحمد عبد الله دراز (ت:١٩٥٨م) وسيد قطب

(ت:١٩٦٦م).

وبهذا يُسهم هذا العلم، سواء المناسبة أو النظم، في الكشف عن بعض مظاهر إعجاز هذا القرآن العظيم، فليس ترتيبه ببعيد عن روح إعجازه، فإعجاز القرآن ليس فقط في مظهر واحد، بل في صور كثيرة منها ما تحدثنا عنه بإيجاز في موضوع علم المناسبة والنظم.

ثالثاً: نشأة علم المناسبات

تعددت أقوال العلماء في تقرير زمن نشوء علم المناسبات، فيرى منهم ان نشأته كانت قبل نهاية القرن الثالث الهجري إذ عُرف بإعمال هذا العلم في تفسير الشيخ (أبو بكر النيسابوري المتوفى ٣٢٤هـ)[٦]، إذ ذكر في مجالسه التفسيرية المنعقدة في بغداد مضمون علم المناسبات. بل وانه كان يُنكر على غيره من العلماء عدم إعمالهم لهذا العلم في فهم آيات القرآن الكريم، وفي ذلك يقول أبو الحسن الشهراباني (ت:٦٧٢هـ)[٧]: (وكان يُزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة)[٨].

وبعض الباحثين يرى أنَّ علم المناسبات القرآنية أقدم من أنْ يكون في القرن الثالث الهجري، وان انتشاره ومعرفته تعود الى الصدر الأول من الإسلام إذ كان معروفاً بين الصحابة والتابعين[٩].

فعن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) عن أبيه الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قال: دخلت على جابر بن عبد الله الأنصاري فسأل عن القوم حتى انتهى إلي، فقلت: أنا محمد بن علي بن الحسين، فأهوى بيده إلى رأسي، فنزع زري الاعلى، ثم نزع زري الأسفل ثم وضع كفه بين ثديي وأنا يومئذ غلام شاب؛ (...) فقال: مرحباً بك يا ابن أخي، سل عما شئت؟. فسألته وهو أعمى؛ فقلت: أخبرني عن

حجة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).- في تفصيل طويل نأخذ محل الشاهدفقال: (.. ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ [١٠] إبدأُ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة، فوحد الله وكبره)[١١].

والشاهد هنا قوله في الحديث: فلما دنا من الصفا قرأ: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ}[١٢] إبدأُ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا.

فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بدأ بالصفا لمّا بدأ الله بها في الآية، وقال: «أبدأ بما بدأ به الله»، فراعى (صلى الله عليه وآله وسلم) مناسبة البدء بذكر الصفا في الآية، فبدأ بها في السعي.

قال الأصمعي عبد الملك بن قريب(ت:٢١٦هـ): (كنت في مجلس أقرأ سورة المائدة، ومعنا أعرابي، جاء لتوه من البادية، فقرأت: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)؛ فقال الأعرابي: كلام من هذا؟؟ فقلت: هو القرآن كلام الله!! فقال: ما هذا بقرآن!! أعد ما قلت!! يقول الأصمعي: فكررتها مرة أخرى. فقال الأعرابي: ما هذا بقرآن !!. أعد ما قلت!!

يقول الأصمعي: فانتبهت لخطأ في تلاوتي.. وقلت: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١٣]؛ فقال الأعرابي: الآن أصبت!! فقلت: يا هذا! أتحفظ القرآن؟؟ فقال: لا! فقلت: وكيف عرفت؟!! فقال: عَـزَّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم في هذا لَمَا قطع!!)[١٤].

ونلحظ في هذا الشاهد أنَّ المناسبة فيه كانت في الفواصل القرآنية للسياق وهو بهذا يلحق بمباحث الاعجاز البياني للقرآن الكريم.

أما مصطلح (المناسبة) فلا يُعرف أول من وضعه لهذا الفن، لكن أول من استعمله هو المفسر فخر الدين الرازي (ت:٦٠٤هـ) عند تفسيره لآخر سورة المائدة حينما أشار الى وجه التناسب بين خاتمة السورة وافتتاحها؛ حين قال: (فما أحسن المناسبة بين ذلك المفتتح والمختتم)[١٥].

إذن مما تقدم نلحظ أن نشأة علم المناسبة من حيث تطبيقاته أقدم من ان يكون في القرن الثاني الهجري، ولكن الالتفات له كعلم له ضوابطه وشروطه كان في القرن الثاني الهجري.

رابعاً: ثمرة علم المناسبة:

ويبدو مما تقدم أنَّ ثمرة هذا العلم تكمن في الاطلاع على أهمية الجزء من حيث استحقاقه مقارنة بمقامه المرتبط بعلة تعلقه بالكل، وانسياق الالفاظ وتعاضدها كرسم لوحة فنية معبرة في كل اجزاءها ودقة تفاصيلها؛ بحيث تبدو مفردات الكلام وقد انتظمت في عقد تتكامل فيه حباته في تراصف يبرق الى معنى مهيب في دلالته.

وسر الكشف عن هذه الثمرة المكنونة في سياق الكلام تكمن في عمق إجادة المفسر على إدراك مقصود كل سورة قرآنية وفي كل آياتها المباركة؛ وهذا أمر عظيم حيث تتظافر فيه الجهود العلمية والفنية والذوقية وكذلك التوفيقات الإلهية، فكان بسبب كل ذلك علم لطيف في وجوده قليل إعماله عند المفسرين.

وقد نوّه المستشرق نولدكه[١٦] بذاك إذ رأى أن القرآن الكريم وحدة مترابطة ترجع كلّها الى معرفة التوحيد،

ثم طبق مبدأ هذا العلم على جزء من النص القرآني (السور المكية) وان كانت نصوصاً صغيرة إلا أنها جزء من نص متماسك هو النص القرآني ينبغي ربطها به[١٧].

خامساً: أسباب اقلال المفسرين من علم المناسبة:

ابرقنا الى عدم إعمال المفسرين لعلم المناسبة مع أهميته في فهم المعنى، فلا انسجام بين العناية بهذا العلم وأهميته، فقد قل اعتناء العلماء به مقارنة هذا العلم بالعلوم الأخرى المتعلقة بالقرآن، مثل علم المحكم والمتشابه وعلم الناسخ والمنسوخ... الى غير ذلك، وتظهر هذه القلة في شحة الدراسات في هذا العلم وندرتها عندهم، وقد عبر أبو الفضل الغماري الحسني (ت:٢٠١٠م): عن هذه الحال قائلاً: (وهذا فن عزيز قل من تعرض له من العلماء على كثرة من تعرض منهم لفنون القرآن المتنوعة مثل تفسيره وإعرابه وقراءاته وتجويده واستنباط أحكامه وقصصه وغير ذلك)[١٨].

ويبدو للباحث المتتبع ان أهم الأسباب التي أدت الى عزوف كثير من العلماء عنه فيما يأتي:

١- الخلاف بين العلماء فيما يتعلق بترتيب المصحف؛ حيث اختلفوا في وضع السور أهي بتوقيف من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أم هي بتوفيق من الصحابة؟

٢- يرى بعض الباحثين ان هذا العلم ليس مما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يؤثر عن الصحابة استعماله.

٣- لدقته فهو علم يحتاج الى كثير من التأمل وإعمال الفكر، قال الزركشي: (وقد قلّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته)[١٩].

٤- عزوف كثير من طلبة العلم عن

دراسته[٢٠]، ومن ثم انحساره على الصعيد الواقعي التطبيقي.

٥- يرى بعضهم انه علم يعتمد على جهد القائل من غير ضوابط مقررة مسبقاً، بحيث تختلف ثمرته من شخص الى آخر في نفس الموضوع لا سيما في تناسب سورة مع أخرى.

المطلب الثاني: موقف المفسرين والعلماء من علم المناسبات:

للعلماء والمفسرين آراء متباينة في وجود التناسب في القرآن الكريم من عدمه، وقد انقسموا على فرق ثلاث:

الفريق الأول: يرى وجود التناسب في القرآن الكريم:

أكد أغلب أهل العلم على وجود التناسب في النص القرآني؛ وان علم المناسبات علم له قيمته العلمية في فهم سور وآيات القرآن المجيد، وقد أشار عدد من المفسرين والعلماء إلى أهميته ومنهم على سبيل المثال:

المفسر الطبري (ت:٣١٠هـ) فقد تحدث عن مضمون المناسبة في مواطن كثيرة من تفسيره المشهور (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، وانتصر لجوهرها وأوضح وظيفتها تطبيقياً، نعم؛ لم يُصرح الطبري بلفظ التناسب أو المناسبة في أغلب كلامه التفسيري عند أدائه في المناسبة بين الآيات[٢١].

ولحظنا المفسر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) في تفسيره (الكشاف) قد استعان بعلم المناسبة في تفسير بعض الآيات القرآنية[٢٢].

كما أولى المفسر الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) مسألة تناسب السور عناية خاصة في تفسيره (مجمع البيان في تفسير القرآن)، فقد حرص على ذكر تناسب أكثر السور القرآنية مع ما قبلها، في محاولة لبيان ارتباطها، ويكفي دليلاً

على ذلك أن الطبرسي ذكر التناسب بين ١٠٩ سور من بين ١١٤ سورة ذكرت في القرآن الكريم. وإذ استثنينا سورة الفاتحة من العدّ، فإن الشيخ الطبرسي لم يذكر مضمون التناسب في أربع سور فقط وهذا إن يبرق الى شيء فإنما يوضح سعة الاهتمام ببيان تناسب السور القرآنية فيما بينها، وكذلك الى رعايته الكبيرة بالتناسب بين الآيات، وهذا الأمر واضح لمن تتبع تفسيره إذ يلحظ مدى اهتمامه في ذكر ارتباط الآية أو الآيات بما قبلها[٢٣].

ومن المفسرين المكثرين من التناسب الفخر الرازي (ت:٦٠٤هـ)، وهذا ما دعاه الى القول: (أن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط)[٢٤].

وأشار الشيخ ولي الدين محمد الملوي (ت:٧٧٤هـ) أستاذ الزركشي لعلم التناسب فقال: (والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسباتها لما قبلها؛ ففي ذلك علم جم. وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها، وما سيقت له)[٢٥].

وأكد هذا المعنى فيما بعد الشيخ الزركشي (ت:٧٩٤هـ) إذ قال: (واعلم أن المناسبة علم شريف، تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول)[٢٦].

وتوالت الاشادات بهذا العلم تطبيقاً وتصريحاً وكذلك عتاباً على المفسرين المقلين فيه، وهذا واضح جلي في قول السيوطي (ت:٩١١هـ): (علم المناسبة علم شريف قلّ اعتناء المفسرين به لدقته)[٢٧].

ونجد المحاولة الجادة كانت عند العالم الهندي عبد الحميد الفراهي (ت:١٩٣٠م) في تفسيره (نظام

القرآن): فقد أصّل لمنهج الوصول إلى الوحدة الموضوعية في السورة، وقصد بالنظام كما ذكره قائلاً ان: (معرفة روابط الكلام وتركيب أجزائه، وتناسب بعضه، أو هو عمود الكلام وحسن ترتيبه سواء أكان الكلام جملة واحدة أو جمل عديدة، فلابد من الوحدة في نظمه وإلا كان- الكلام- منتشراً)[٢٨].

وكان تفسير سيد قطب (ت:١٩٦٦م) (في ظلال القرآن) واضح الملامح صراحة في هذا العلم لا سيما في تناسب السور حيث يلحظ المتابع انه كان يفتتح تفسير السورة بذكر البارز من موضوعها العام، ثم يعمد الى الربط بين مقاطع السورة على ضوء ما تم ذكره من موضوعها وجوّها العام.

ومن ذلك نلحظ توجيه سيد قطب لما يراه كثير من المفسرين من ظاهرة التكرار للقصة في القرآن الكريم، في ان تكرارها أو بعض من مقاطعها في سورة ما لا يعني ان الهدف المراد هو ذاته في كل سورة، وانما لكل ذكر لهذا الجزء من القصة له معنى يوظف من خلال سياق السورة وهو بهذا ينفي التكرار لغرض التكرار فحسب[٢٩].

وتتجليفي الغالبأقسام الوحدة الموضوعية في السور القرآنية عند سيد قطب على النحو الآتي:

* التناسب بين السورة والسورة.

*التناسب بين دروس السورة الواحدة التي تلتقي على تحقيق هدف السورة وغرضها، وتتناغم في إبراز ملامح تلك السورة.

* التناسب بين مقاطع الدرس الواحد كجزيئات تكمل موضوع ذلك الدرس.

* التناسب بين آيات المقطع الواحد

كأفراد تلتقي وتكمل بعضها في إبراز شخصية السورة.

* التناسب بين كلمات الآية الواحدة وجملها؛ لتكون لبنة متكاملة من لبنات النص القرآني المعجز الفريد.

إن الإحاطة بالجهود التي بذلها العلماء قديماً وحديثاً قبل سيد قطب، والاطلاع عليها يؤكد وضوح فكرة الوحدة الموضوعية في السورة عندهم، خاصة تلك الجهود التي قدمها عبد الحميد الفراهي وليس سيد قطب أول من طبّق منهج البحث في سور القرآن على نحو موضوعي، لكن سيد قطب له فضل وجهد لا ينكر في التطبيق العملي لأكثر سور القرآن.

وكتب الدكتور محمد عبد الله دراز (ت:١٩٥٨م) في التناسب القرآني، وأطال النفس في مناسبات السورة الواحدة، وألح على ضرورة التعرض لذلك على الخصوص؛ تحقيقاً لمفهوم التناسب الكلي للسورة القرآنية دون إيغال في تحقيق الصلة بين الجزء والجزء إلى حد الاتحاد أو التماثل أو التداخل غاضين البصر عن النظام الكلي الذي وضعت عليه السورة في جملتها[٣٠]، فكان تأليفه لكتاب: (النبأ العظيم) مثالاً موفقاً في بيان جلالة (علم المناسبات) وضرورته في فهم كتاب الله الحكيم.

وأورد المفسر محمد عزة دروزه (ت:١٩٨٤م) نسبة الروابط بين آيات ومضمون السور، وعطف الجمل على بعضها سياقاً أو موضوعاً لبيان النظم القرآني والترابط الموضوعي؛ فيقول: (لأن هناك من يتوهم ان آيات السور وفصولها مجموعة الى بعضها بدون ارتباط وانسجام في حين أن إمعاننا النظر فيها جعلنا على يقين تام بأن أكثرها مترابط ومنسجم)[٣١].

وتجدر الإشارة ان المفسر في

تفسيره عمد على ترتيب السور فيه على حسب النزول لا على الترتيب المعهود في سائر كتب التفسير، إلا انه لحظ فيمن لحظ أهمية علم التناسق.

هذه أقوال علماء محققين مارسوا علم التفسير وألّفو فيه وفي علومه وتبين لهم أهمية هذا العلم، وكل منهم قد مارس تطبيق هذا العلم في أحد مصنفاته سواء أكانت مؤلفاته خاصة بالتفسير أو عامة.

الفريق الثاني: يرى ان التناسب في الآيات فقط دون السور: وموقفهم هذا مبني على ان ترتيب السور في المصحف ليس ترتيباً توقيفياً، ومن ثم لا يرون ان هناك ترابطاً وتناسباً بين سور المصحف الشريف ويحصرون التناسب في آياته فقط

ومن ابرز هؤلاء العلماء كان الشيخ ابن عاشور (ت:١٩٧٣م) والعلامة محمد حسين الطباطبائي (ت:١٩٨١م) والشيخ هادي معرفة[٣٢].

الفريق الثالث: يرفض وجود التناسب في القرآن الكريم

علم التناسب حاله كحال أي فن من الفنون له من يؤيده؛ وكذلك له من يعارضه وممن يرون ما لا يراه الفريق الآخر، ويأتون على دعواهم بما يدل عليها، وقد يكون الخلاف بين الفريقين لفظياً، كما يكون سر الخلاف في تنزيه كل فريق لموضوع البحث عما لا يليق به بحسب زاوية رؤيته له.

فكان لعلم المناسبات القرآنية معارضون من المفسرين القدامى والمعاصرين، وهم وإن كانوا قلّة، إلا أن رأيهم محل بحث ودرس، ولخشية الاطالة ولضيق المقام نلمح سريعاً لأهم المعارضين[٣٣] وسبب نقدهم ونناقشه وعلى النحو الآتي:

نلحظ ان أقدم من رفع صوته

مستنكراً لهذا الأمر الشيخ عز الدين بن عبد السلام المتوفى سنة (٦٦٠هـ)[٣٤].

كما واشكل الشيخ الشوكاني (ت:١٢٥٥هـ) على علم المناسبات وعلى القائلين به، فقال: (اعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف، كما فعله البقاعي في تفسيره)[٣٥]. وذكر حجج المنكرين لهذا اللون من الارتباط بين الآيات، ونحا نحوهم، وضرب على بعض الأمثلة.

وقال الشيخ محمد عبده (ت:١٩٠٥م): (ليس القرآن كتاباً فنياً، فيكون لكل مقصد من مقاصده باب خاص به، وانما هو كتاب هداية ووعظ، ينتقل بالإنسان من شأن من شؤونه إلى آخر، ويعود إلى مباحث المقصد الواحد المرة بعد المرة، مع التفنن بالعبارة، والتنوع في البيان، حتى لا يمل تاليه وسامعه من المواظبة على الاهتداء)[٣٦].

ومن المعاصرين ما ذكره الشيخ محمد جواد مغنية (ت:١٩٧٩م) في مقدمة تفسيره إذ قال: (لم أشغل نفسي والقارئ بذكر العلاقة والمناسبة بين الآيات واتصال بعضها ببعض، كما فعل المفسرون، لأن القرآن لم يوح إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جملة

واحدة، وانما نزل منجماً بين وقت يتابع أحياناً، ويبطئ أحياناً أخرى، ولم ترتب السور والآيات في القرآن الذي نقرأه حسب نزولها)[٣٧].

وقال الشيخ محمد سيد طنطاوي (ت:٢٠١٠م): (من حكمة مزج المسائل والموضوعات في القرآن من حيث هو مثاني تتلى دائما للاهتداء بها، لا كتاباً فنياً ولا قانوناً يتخذ لأجل مراجعة كل مسألة من كل طائفة من المعاني في باب معين)[٣٨].

ومن الذين انتقدوا القول بوجود وحدة موضوعية بالسورة، وانتقد الدكتور محمد دراز (ت:١٩٥٨م) القائل بها- كما تقدمالدكتور محمد رجب البيومي (ت:٢٠١١م)، إذ قال: (وقد أتاح د. دراز بذلك لكل مبتدئ أن يعمد إلى سورة من السور الكريمة فيختار بعض عناصرها المتقاربة، ويهمل ما لا سبيل إلى انضمامه، ثم يخرج على الناس برأي يهتف بوحدة الموضوع في السورة القرآنية)[٣٩].

ونلحظ ان ملخص اعتراضهم يكمن في ان المناسبات لا تُطلب من بين الآيات والسور وهي قد نزلت مفرقة كل واحدة منها في زمن يخالف زمن الأخرى، وفي قضية مغايرة لمضمون ما جاورها! وان بعض المفسرين القائلين بوجود التناسب اسرف بغير روية ودقة تمعن فتكلف الى حد الاسراف.

تعليق على آراء المعارضين لعلم التناسب:

ونرى ان إشكال المعارضين في عمومه فيه نظر، ولا نميل إليه، وقد رد شبهتهم جملة من العلماء والباحثين[٤٠]، ولحظنا أيضاً:

أولاً: ان البحث في علم التناسب ليس بالأمر السهل ولا الهين الذي يصوره بعض الباحثين المعترضين، وليس من

السهل على أي مبتدئ أن يحدد حتى بسهولة المقاصد العامة لها فضلاً عن تحديد المحور العام، فالنظر للسورة القرآنية يحتاج من العمق والخبرة والمهارة والفهم الثاقب ما لا يمتلكه المبتدئون، وهذا واضح من عرض المسألة ومدى صعوبتها واختلاف العلماء في تحديدها.

ثانياً: إن ترتيب سور وآيات القرآن الكريم أمر يدعونا الى التأمل العميق والبحث الدقيق؛ لما يكتنف هذا الترتيب من أسرار عظيمة، فترتيب المصحف ليس ترتيباً حسب النزول ولا على أي قاعدة عقلية ممكنة، فلا نلحظه رتب سوره بحسب الطول، ولم يرتبها بحسب الموضوع أو عدد آياتها، كما ان الآيات داخل السورة نفسها أيضاً غير مرتبة بحسب النزول أو بحسب الموضوع الواحد، فهو ترتيب عجيب!

وبعبارة أخرى ان القرآن الكريم اتخذ منهجاً خاصاً فريداً في عرضه للمواضيع، فلم تكن مواضيعه من خلال آياته وسوره كما هو المعهود في تقسيم الكتب الى أبواب والأبواب الى فصول، والفصول الى مباحث، وكل باب أو فصل يتناول موضوعاً خاصاً في كل جزئياته حتى يكتمل في كل قضاياه؛ وإنما وردت القضايا القرآنية موزعة على كل آية وسورة، بل قد تكون الآية الواحدة متضمنة لقضايا متعددة من حيث العقائد والعبادات والأخلاقيات وغيرها من المواضيع[٤١]. وعلى هذا أن نظم القرآن الكريم وترتيب آياته يدهش أصحاب الأفهام الدقيقة بحسنه وتنسيقه ويدعونا فعلاً الى البحث عن أسرار ذلك.

ثالثاً: ان آيات القرآن الكريم وانتظامها في السور أمر توقيفي كما ان السور

وترتيبهاكما يرى اغلب الباحثينأيضاً في المصحف أمراً توقيفياً، وان كانت منزلة بالتدريج وباختلاف الزمان إلا ان النتيجة اكتمال بنائها من حيث السور والآيات بالشكل الذي بين أيدينا مصحفاً كاملاً.

قال الشيخ ولي الله الملوي (ت:٧٧٤هـ): (وقد وَهِم مَن قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنّها على حسب الوقائع المتفرّقة، وفصل الخطاب أنّها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً، فالمصحف كالصحف الكريمة على وِفق ما في الكتاب المكنون، مرتّبة سوره كلها وآياته بالتوقيف)[٤٢].

وأكد هذا المعنى الشيخ محمد عبد الله دراز بقوله: (أجل إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشواً وأوزاعاً من المباني جمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسسٍ، وأصول..)[٤٣].

رابعاً: ان القرآن الكريم في اللوح المحفوظ هو كامل في صورته النهائية بعد تدرج نزوله، أي ان الذي بين أيدينا الآن هو ذاته من قبل نزوله من اللوح المحفوظ. فما كان إلا انتقاله من مكان الى آخر ولكن بالتدريج وتباعد الازمان وببعض الأسباب المتعلقة بالنزول والوقائع، فهو عبارة عن انتقال (آيات وسور) في مصحف واحد من مكان الى مكان آخر ولكن بشكل متفرق ليكون فيما بعد في مصحف واحد بعد ان نزل متفرقاً. فهو بهذا تفريق بعد جمع وجمع بعد تفريق.

خامساً: المتأمل في رأي بعض المعترضين يلحظ انهم لا ينفون التناسب في القرآن بالجملة، وانما يرون ان من غير الصحيح والمذموم هو التكلف والتعسف في

طلب المناسبات في السور والآيات، حيث إن هناك فريقاً من القائلين بعلم المناسبات يرون أنه يوجد بين كل آيتين متجاورتين مناسبة ولا بد، وأن عدم ظهورها بسبب قلة علم الناظر فيها، وليس لتباعد الحوادث وتغير الأغراض علاقة بذلك بل المناسبة لابد منها.

إذ التكلُّف منهي عنه في التفسير أو في غيره، وأنه لا يجوز التكلم بمحض الرأي المنهي عنه، فعلم المناسبات يحتاج إلى تدبُّر وتفكُّر لا إلى تكلُّف وتعسُّف، وهو علم (لا بد منه ولا غنى عنه لأي مفسر؛ لأنه يُعين على فَهْم المعنى والترجيح بين الآراء، ومعرفة المقاصد العامة للآيات والسور، وغير ذلك من فوائد، والمناسبة قد تكون واضحة جلية)[٤٤]، وقد تحتاج إلى تأمُّل دقيقٍ وتدبُّر عميقٍ، فإذا خَفِيت المناسبة، فلا ينبغي إنكارُها ونفيُها.

إذن ان التنوع في عرض القضايا القرآنية في السور والآيات لا يعني ان لا تناسب بين موضوع وآخر، وذلك لأن القضايا القرآنية كلها منبثقة من مشكاة واحدة، وتهدف نحو غاية واحدة، فهي من الله تعالى الى خلقه، ومن ثم لا تناقض بينها ولا تنافر.

المطلب الثالث: أهمية وشروط وأقسام التناسب في القرآن الكريم

بعد ان استعرضنا مفهوم علم المناسبة ووقفنا على آراء المفسرين فيها، وتعليق الباحثين على الرافضين له ومناقشة أدلتهم، نرى هنا من الضرورة ان نوضح أقسام التناسب في القرآن بصورة تطبيقية، لما ينسجم مع الشروط التي وضعها أهل الاختصاص حتى لا يكون لكل قائل قول فيه، وقبل ذكر شروط وأقسام التناسب نوضح أهمية التناسب في القرآن الكريم وعلى النحو الآتي:

أولاً: أهمية علم المناسبات:

عرف علم المناسبات القرآنية طريقه إلى اهتمامات الباحثين المتأخرين بعد أن صارت مادة التفسير الموضوعي مادة مقررة على الطلبة؛ إذ لا تستقيم دراسة التفسير الموضوعي إلا أن ترتبط بدراسة علم المناسبات القرآنية إذ ان (علم المناسبات وثيق الصلة بالتفسير الموضوعي)[٤٥]؛ فكلاهما متمم للآخر ودال عليه؛ كما ويمكن ان نجمل أهميته في:

١- نسبة هذا العلم من علم التفسير مثل نسبة علم البيان من علم النحو[٤٦].

٢- معرفة المناسبة للسورة أو الآيات مع ما قبلها يساعد على حل مشكلات في تفسير القرآن فيوقف على الحق من معاني آيات حار فيها المفسرون، فهي هنا كعلم أسباب النزول وأثره في فهم النص القرآني وحسن تأويله[٤٧].

٣- يساعد هذا التنوع في معالجة الموضوع الواحد على تثبيته في نفس القارئ، أو السامع لكتاب الله عز وجل، أو المهتدي بهديه، إذ هو يوالي له إثبات هذا الموضوع من طرق عديدة، فكأنّه يكرر له هذا الموضوع دون تكرار، وإنما هو الترداد المستمر الذي يثبت القلب، ويغرس فيه موضوع السورة من موارد شتى، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ، وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[٤٨].

٤- يُغطي جانباً من جوانب الإعجاز القرآني، ويرد على شبهات المستشرقين، وأتباعهم الذين أنكروا هذا التناسب، ودعوا إلى إعادة ترتيب القرآن وفق نزوله[٤٩].

٥- يعين على فهم القرآن، بتلك النظرة الكلية الشاملة، التي تعين على فهم المعنى من خلال معرفة سياق الآيات، ومقاصد السور، وأهدافها، وصلتها بالسياق القرآني العام.

٦- علم يكشف ان ألفاظ النص يعضد بعضها بعضاً، فهو يسوق الأجزاء لتتكامل مع بعضها، فيتماسك النص في تلاءم معانيه ودلالته[٥٠].

٧- يرسخ هذا العلم الإيمان في النفس بعد ان اثار العقل مكنونات عظيم معانيه المتولدة من سياق النص، وهو بهذا من ضروب الاعجاز القرآني[٥١].

٨- علم يثير الحماسة في النفس، لما فيه من كثير اللطائف القرآنية الرائعة، فتتقبله النفس لجميل الذوق فيه[٥٢].

ومن خلال عرضنا لأهمية علم المناسبات في التفسير ومزاياه، يتضح لنا مدى أهمية الموضوع، ومدى حاجتنا لفهم القرآن فهماً جديداً معاصراً، ولهذا بات البحث في مناهج التفسير أمراً ضرورياً، وأصبح التجديد فيها أمراً مهماً، وهذا نظراً لطبيعة الحياة ومتغيراتها، حيث أنزل هذا القرآن لخدمة البشر في كل مكان وزمان، وهداية لهم.

ثانياً: شروط جواز طلب المناسبات في القرآن الكريم:

وبما ان التفسير جهد بشري وهو بهذا عرضة للوقوع في غير الصواب، وضع بعض العلماء شروطاً تحد من الشطط في إدراك المناسبة؛ وهي[٥٣]:

١- أن تكون المناسبة منسجمة مع الغرض الذي سيقت من أجله السورة.

٢- ان تكون متناغمة مع السياق السابق واللاحق للآيات القرآنية.

٣- أن تكون المناسبة متوافقة مع تفسير الآية ومضمونها، وغير مخالفة له مخالفة تضاد.

٤- أن لا تتعارض المناسبة مع الشرع المقدس.

٥- أن تتفق المناسبة مع ذوق اللسان العربي المبين الذي نزل به القرآن الكريم.

٦- على المفسر ان لا يجزم بأن ما أدّاه إليه اجتهاده ونظره وتدبره في المناسبة هي مراد الله تعالى.

٧- أن يعلم أن المناسبة موجودة، ولا يلزم أن تكون ظاهرة في كل موضع لكل أحد.

وعليه نلحظ من هذه الشروط أنّ غير المفسر الذي لم تتحقق فيه الشروط التي وضعها العلماء، لا يحق له أن يُقْبِلَ ولا أن يتكلم في تفسير القرآن، خصوصاً هذا النوع من التفسير، لأنّه درجة متفوقة في التفسير التقليدي، فغير العالم المتخصص في التفسير والذي هو على درجة كبيرة من الأهلية، قد يسيء في الوقت الذي يتصور فيه أنّه يحسن، وقد يؤوّل تأويلاً أو يفسر تفسيراً، هو في صميمه تحريف لمعاني الآيات، والمفردات القرآنية عن مقاصدها.

وبهذا ان أدراك المناسبات ليس توقيفياً وانما هو توفيقياً، وهو يعتمد على اجتهاد المفسر ورأيه، وان الشروط التي تطلب في جواز المناسبات هي ما يشترط في التفسير بالرأي[٥٤]، وكذلك يعتمد على ذائقته الأدبية ورهافة حسه في استشعار الربط والتناسق في آيات الكتاب العزيز وسوره.

ثالثاً: أقسام علم المناسبات:

للمناسبات في القرآن الكريم أنواع كثيرة؛ منها خارجية تتعلق بما هو خارج السورة، ومناسبات داخلية تتعلق بآيات السورة الواحدة، ويمكن اجمال التقسيم على النحو الآتي[٥٥]:

القسم الأول: المناسبات بين السور، وتسمى أيضاً المناسبات الخارجية، ولها ثلاث صور:

١- مناسبة مطلع السورة مع مطلع ما قبلها.

٢- مناسبة مطلع السورة مع خاتمة ما قبلها.

٣- مناسبة مقاصد السورة مع مقاصد التي قبلها.

القسم الثاني: المناسبات في السورة الواحدة، وتسمى أيضاً المناسبات الداخلية. ولها خمس صور:

١- المناسبات بين الجمل في الآية الواحدة.

٢- المناسبة في ترتيب الآيات.

٣- مناسبة مطلع السورة مع مقاصدها.

٤- مناسبة خاتمة السورة مع مقاصدها.

٥- مناسبة مطلع السورة مع خاتمتها.

بعض من الأمثلة المتفرقة على التناسب: وخشية الاطالة ولضيق المقام ندرج فيما يأتي بعض محاولات اكتشاف التناسق في القرآن الكريم، وعلى النحو الآتي:

١- مناسبة السورة التي تليها بالموضوع:

وهذا النوع يعتمد على رصيد العلائق بين سور القرآن وارتباط بعضها ببعض، وهذا النوع اعتنى به أغلب من ألّفوا في المناسبات.

مثالنا على ذلك: مناسبه سوره الضحى لسورة الشرح التي تليها، فنلحظ ان كلتاهما تناولتا النعم التي أكرم الله تعالى بها نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فنجد ان سورة الضحى ذكرت الرعاية للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ ان كان صغيراً، إذ يّسر له سبحانه من يكفله في يتمه بعد وفاة والديه، فكان ان كفله جده عبد المطلب وعند رحيل جده كفله عمه أبو طالب[٥٦]، وكذلك من النعم انه سبحانه اغناه عن سؤال الناس والحاجة إليهم، فكان ان يسر للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) العمل بالتجارة والمضاربة بمال السيدة خديجة «رضي الله عنها».

ونلحظ ان سور الشرح تابعت الحديث عن هذه النعم التي خصّ

الله سبحانه بها نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن ذلك بأن شرح له صدره، فكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مطمئن النفس هادئ القلب في جميع احواله، كذلك ان الله تعالى جنبه ما يثقله من الذنوب وزكاه بالتطهير والمغفرة.

٢- مناسبه بداية السورة لخاتمة السورة التي قبلها:

جاءت سور القرآن الكريم مرتبة كما في المصحف الشريف ترتيبا دقيقاً، حتى أنك لتجد تناسقاً في تتابع السور القرآنية.

ومثالنا على ذلك: المناسبة بين خاتمة سورة طور في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾[٥٧] مع بداية سورة النجم في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[٥٨]، فنلحظ ان خاتمة سورة الطور قد أمرت بتسبيح الله تعالى عند (ادبار النجوم)، أي حين تختفي النجوم عن النواظر عند شروق الشمس، أما بداية سورة النجم فنلحظها قد بدأت في أول آياتها بالقسم بالنجم، وفي ذلك تناسب له معانيه.

ومثالنا الآخر: ما ورود في سورة الحديد بعد سورة الواقعة حيث افتتحت سورة الحديد بالتسبيح، قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٥٩]، لتتناسب مع خاتمة سورة الواقعة التي جاء في نهايتها قول الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[٦٠]. يعني لقد سبّح لله عز وجل فسبِّح أنت، توافق مع ما في السماوات والأرض، هؤلاء كلهم سبحوا الله سبحانه وتعالى فسبِّح أنت باسم ربك العظيم. لا شك أن هذه مناسبة بيانية لطيفة[٦١].

٣- المناسبة بين بداية السورة ونهايتها:

وهذا النوع من المناسبة يبحث في العلاقة بين طرفي النص

المطلع والمقطع، وقد روعي في القرآن الارتباط المطلع بالمقطع، ويكون هذا الارتباط لفظياً كما هو الحال في كثير من الآيات التي تنتهي بما تبدأ به، وقد تكون العلاقة معنوية.

من أمثله على ذلك: ما نلحظه في سورة الإسراء حيث ابتدأت بتسبيح الله عز وجل وتنزيهه عما لا يليق به؛ قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[٦٢]، وختمت أيضاً بحمد الله وتكبيره وتنزيهه عن الشريك؛ قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[٦٣].

بداية سورة النحل إذ بدأت بقوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٦٤]، وبين خاتمتها التي جاءت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٦٥]، فنلحظ ان الله تعالى يخبر في أول السورة عن اقتراب الساعة ودنوها معبراً بصيغة الماضي الذي يدل على التحقق والوقوع لا محالة؛ ومن المتيقن ان أهوال الساعة وعظم خطرها لا يكون ظل إلا ظله سبحانه، وهذا يستدعي عمل الواجبات وترك المحرمات والتحلي بأخلاق الإحسان ومكارم الفضيلة ليكون الله معنا وهو الذي ختمت به السورة.

٤-المناسبة في بدايات السور:

وهذا النوع يعد نوعاً من أنواع فنون البديع، وهو ما يعرف ببراعة الاستهلال؛ حيث يكون في المطلع ما يلائم ما تشتمل عليه السورة من مواضيع، وقد تكون هذه المناسبة معنوية أو لفظية.

مثال المعنوية ما جاء في سورة الإسراء، حيث بدأت بالتسبيح وذلك يتوافق مع ما في السورة من حديث عن تكذيب الكافرين للنبي (صلى الله

عليه وآله وسلم) ومن ثم تكذيب الله عز وجل فكان ذلك مناسبا لموضوع السورة.

أما اللفظية فمثاله: تناسب بين السور التي تبدأ بـ (حم)، وهي سورة: (غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الاحقاف)، فنلحظ في هذه السور السبع انها متتالية وقد اتفقت في مضمونها عن الحديث عن صفات الله تعالى وعن القرآن الكريم، وهذا التناسب فيها مما يعزز الإيمان عند المسلم وان الإسلام دين الحق وكشف عن وجوه جديده في اعجاز القرآن الكريم ومعاني بيانية سامية.

٥-التناسب بين الآيات الكريمة في السورة الواحدة:

يبحث هذا النوع في طلب العلاقة بين أجزاء السورة القرآنية المتتابعة (الآيات)، ويركز هذا النوع على رصد العلائق بين الآيات بعضها بعضّاً من خلال رصد التعانق الدلالي واللفظي داخل هذه البنية، وقد يكون ظاهراً كما هو الحال في الآيات التي يكون الترابط فيما بينها بوشائج مثل التقابل أو التناظر أو بحرف من حروف العطف أو بعلاقة التفصيل والبيان وغير ذلك من العلاقات التي لا تحتاج الى جهد في تعقبها، وقد تكون هذه العلاقة خفية تحتاج الى جهد كبير يصعب تحديده بشكل حاسم، فنرى اختلاف للعلماء في بيانها.

ومما تقدم نلحظ ان هناك وجوه للمناسبات بين الآيات: ووجه المناسبة بين الآيات له أنواع كثيرة منها على سبيل المثال:

١- التنظير: فإن إلحاق النظير بنظيره من دأب العقلاء، ومن أمثلته: قوله تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ

عَذَابٌ مُقِيمٌ، كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٦٦].

حيث نظر بين حال أهل الكفر والنفاق وما هم فيه، بحال الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوّة واستمتعوا بشهواتهم الفانية فأحبط الله عز وجل أعمالهم في الدنيا والآخرة، فليحذر هؤلاء أن يصيبهم ما أصاب أولئك.

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (إن الآية الكريمة تنبه المنافقين المعاصرين للنّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فتقول لهم: إنّكم ترون أنّ هؤلاء السابقين رغم تلك الإمكانات والقدرات والأموال والأولاد لم يصلوا إلى نتيجة، وأنّ أعمالهم قد أصبحت هباء منثورا لأنّها لم تستند إلى أساس محكم، بل كانت أعمال نفاق ومراوغة، فإنّكم ستواجهون ذلك المصير بطريق أولى، لأنّكم أقل من هؤلاء قدرة وقوة وإمكانات)[٦٧].

٢- المضادة: وهو اتباع آية الحديث عن المؤمنين بآية تصف حالة الكافرين، لبيان أوجه التضاد، وهو أسلوب واضح في التشويق، ومثاله في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٦٨]، فإن أول السورة كان حديثاً عن القرآن وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين، فبينهما جامع وهمي ويسمى بالتضاد من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل وبضدها تتبين الأشياء.

٣- الاستطراد: والحكمة منه نقل ذهن

المتلقي الى موارد لها صلتها بصلب موضوع النص، وفيه حكمة مناسبة للمقام، ثم الرجوع إلى الموضوع الأول، وغاية هذا الاستطراد بيان ما قصد إليه القرآن الكريم من الإشارة إلى حكمة أو لفت نظر إلى مقاربة أو إقرار حقيقة أو تذكير بأمر، ومنه ما نلحظه في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[٦٩]، إذ قال الزمخشري: (هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليهما إظهاراً للمنة في ما خلق من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى، وقد خرجت على الاستطراد)[٧٠].

٤- الانتقال: ويراد به الانتقال من حديث الى آخر تنشيطاً للسامع، ومثاله: ما نلحظه في سورة «ص» لما انتهى من الحديث عن الأنبياء (عليهم السلام) قال سبحانه: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾[٧١] فانتقل الى نوع آخر من الحديث وهو ذكر الجنة وأهلها، ولما انتهى من الحديث عن ذلك انتقل الى نوع ثالث فقال: ﴿هَذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾[٧٢] فذكر النار وأهلها.

قال ابن الأثير (ت:٦٣٧هـ): (لفظ «هذا» في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل وهي علاقة وكيدة بين الخروج من كلام إلى كلام آخر)[٧٣].

من الأمثلة على ذلك أيضاً ما نلحظه في سورة الفاتحة، حيث ابتدأت بحمد الله تعالى الذي خلق العالمين ثم ذكرت صفات الله تعالى التي يتحبب الله بها لعباده؛ فهو رحيم بالعباد عامة

ورحمن بالمؤمنين خاصة، وحتى لا يغتر الإنسان برحمة الله وحلمه ذكرت الآيات بعد صفة الرحمة أنه سبحانه وتعالى هو المالك ليوم الدين، وليعلم المرء أنه محاسب على ما يعمل وما دام الله رحيم بعباده وله الملك الحقيقي فعلى المسلم أن يعبده وحده ولا يستعين بغيره، وأفضل أنواع العبادة التوجه إلى الله تعالى بالدعاء الخالص حيث ختمت سورة الفاتحة بدعاء المسلم ربه أن يهديه الصراط المستقيم وأن يبعده عن سبل الضالين والمغضوب عليهم.

وحقيقة ان الانتقال بين أجزاء الكلام وأطراف القول ليس بالأمر السهل في النتاج البشري، إلا انه في النص القرآني يتضح الإعجاز في حسن الانتقال الذي يسهم بشكل أساسي في تحقيق التناسب بين المعاني المختلفة والأغراض المتباينة.

تناسب التقديم والتأخير في القرآن الكريم:

ومن أمثلة ذلك ما نلحظه في الآتي:

١- الفرق بين تذييل الآية بـ: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ و﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾:

جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٧٤) فما سبب تقديم كلمة «خبير» على «بِمَا تَعْمَلُونَ» والجواب هو أنّ الأعمال التي طلبها في السّياق فيها معاني الخفاء و الإسرار والنيّات في الأعمال مثل الصلاة، والزكاة كذلك، وطاعة الله ورسوله، فهي أعمال قلبيّة لا يطلع عليها إلا الله عز وجل، فهو الخبير بصدق أو كذب أصحابها، فاقتضى الحال تقديم «خبير» على «ما تعملون».

أمّا عبارة التذييل: (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أشهر وعشرا فَإِذَا بَلَغْنَ

أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٧٥]، فالتربص بعد هلاك الزوج أمر ظاهر، وعمل لا يخفى على الآخرين، فاقتضى الحال تقديم العمل على خبير. والقاعدة التي نستخلصها هنا: هو إذا كان السياق في عمل الإنسان يقدم العمل (والله بما تعملون خبير)، وإذا كان السياق في أمور قلبية أو عن الله يقول: (خبير بما تعملون).

٢- تقديم السارق على السارقة: كما في قوله الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِّ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٧٦]. لأن السرقة وقوعها من الرجل أغلب، لأنه أجرأ عليها، وأجلد وأخطر، فقدم عليها لذلك.

٣- تقديم الزانية على الزاني: وهو الواضح في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٧٧]. وذلك أن الزنا لا يحصل إلا بمساعدة المرأة وتمكينها من نفسها، بل وتعرضها للرجل وإغوائها وإغرائها له، ولذا قدمت زجراً لها.

كما أن الزنى من المرأة أقبح عملاً، وجرمه أشنع فضيحة، لما يترتب عليه من فساد الأنساب، وإلحاق العار بالأهل والعشيرة، ثم بعد كل هذا، الفضيحة بالنسبة للمرأة (بالحمل) إذ تكون أظهر وأدوم، لذا قدمت على الرجل.

وفي ختام هذا البحث يحق لنا القول: ان معاني القرآن الكريم وألفاظه، غاية في التلاؤم والالتحام، وقمّة في التناسب والانسجام، وهو سرّ الاعجاز الذي تحدّى به أرباب البلاغة والبيان.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة في فضاء علم المناسبة في القرآن الكريم، نحط رحالنا ها هنا لنقول:

- ان علم المناسبات من العلوم التي لها أثرها المساعد على فهم النص القرآن الفهم الصحيح.

- اتضح للباحث ان التناسب يكشف جمال المعنى، إذا وظفه المفسر التوظيف الصحيح، وذلك ان القرآن الكريم أبلغ الكلام بلا منازع فعلم المناسبة من أجل العلوم أدلها على إعجاز بيانه.

- وقع تباين كبير بين أهل التفسير في الاعتراف بهذا العلم رغم وجوده في القرآن الكريم، وما ذاك إلا أنه أقرب ما يكون في بيانه للذوق منه الى المراد الحقيقي، فيراه المنتقدون انه علم متكلف.

- اتضح مما تقدم أن المناسبات يختلف التماسها في القرآن الكريم، فمنها ما هو ظاهر ومنها ما يحتاج إلى نظر وكثير من التدبر.

- ان علم المناسبات علم اجتهادي توفيقي، قد يصيبه مفسر وقد لا يكون ذلك، وقد يصيبه اثنان ولكنهما يختلفان في دلالته وقصده.

- الاسراف في استظهار المناسبات في النصوص القرآنية سواء منها في السورة ذاتها أو بين سورة وسورة أخرى مما استهجنه العلماء وعدوه من التكلف الذي يصان عنه كلام الله تعالى.

- ولحظنا ان هناك من الباحثين قد وقع عنده الاشتباه في تحديد مصطلح التفسير الموضوعي وأنواعه، وبين مصطلح الوحدة الموضوعية ونوعيها، وكذلك كان الأمر بين منهجية البحث في التفسير الموضوعي ومنهجية البحث في الوحدة الموضوعية.

- وبالجملة لحظنا لا يكاد يخلو تفسير من التفاسير القديمة أو الحديثة من

تناول هذا العلم إما بالنص عليه، أو بالإشارة إليه من خلال ربط معنى الآية أو السورة بما قبله.

- اتضح ان علم المناسبة من العلوم القديمة في النشأة، إلا انه لا زال يحتاج الى بيان أكثر وتمحيص أكبر ودراسات منهجية فهو مظهر من مظاهر إعجاز الكتاب العزيز الذي لا تنتهي عجائبه.

- لحظنا ان شروط جواز التفسير بالتناسب في جملتها هي ما يشترط في قبول التفسير بالرأي؛ إذ هي مرتبطة ارتباطا وثيقاً به.

- ولحظنا أن مفهوم التناسب عند علماء القرآن الكريم يبدو محصوراً في وجه واحد وهو مناسبة الآية الكريمة لما قبلها وما بعدها من الآيات، ومناسبة الآيات الكريمة للسور الواحدة التي وقعت فيها، ومناسبة السورة لغيرها من السور التي تسبقها أو تعقبها، لكن الأمر في حقيقته يبدو فيه ان مفهوم التناسب أوسع وأشمل لأنه لا يقف عند هذه الحدود، إذ يمتد فينتظم فيه جميع أبعاد النص ومكوناته، وعلاقاته النحوية والمعجمية والبلاغية والنصية، وهذا المفهوم وتحقيقه على واقع النص القرآني يحتاج الى تظافر جهود الباحثين في استجلائه وتطبيقه.

الهوامش:

١- ظ: ابن منظور، لسان العرب، مادة نسب، ١٤/ ١١٨، الزبيدي، تاج العروس، ٤/ ٢٦٥، ابن فارس، مقاييس اللغة، ٥/ ٤٢٣، الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، ص١٧٦.

٢- للتوسعة: ظ: البقاعي (ت:٨٨٥هـ)، نظم الدرر، ١/ ٥، السيوطي (ت:٩١١هـ)، معترك الاقران، ١/ ٤٤، د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص٥٨.

٣- ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٣٧، د. اقبال وافي نجم، البعد الترابطي في القرآن، ص٦، رشيد برقان، آليات ترابط النص القرآني، ص٢٥٣، د. محمد الموسوي المقدم وآخر، التناسب في ترتيب نزول السور القصار سورة العلق والقلم والمزمل أنموذجاً، ص٢٣١، د. طه جابر العلواني، معالم في المنهج القرآني، ص٨٧، الرافعي، إعجاز القرآن، ص١٦٨.

٤- لكن قد نلحظ ان هناك فارقاً دقيقاً في تعريف المصطلحات وإجراءاتها التطبيقية، فمثلاً قد عُرفت الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية بانها: (التفسير الذي يتوجه فيه المفسر إلى الكشف عن الموضوع الذي تعالجه السورة في ضوء معطيات آياتها المحكمة النسج والارتباط بأسلوبها المتميز وخصائصها المعجزة، بلوغا إلى مقاصدها الهدائية). عبد الجليل عبد الرحيم، التفسير الموضوعي في كفتي الميزان، ص٣٤، إلا ان هناك من الباحثين انتقد هذا التعريف بقوله: (إن الوحدة الموضوعية ليست تفسيرا، وإنما هي مقصد وغاية يسعى الباحث إلى تحقيقه، والكشف عن جماله وسحر

بيانه، وذلك بإحاطة السورة بنظرة شمولية). د. زياد الغاميين، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، ص٢٢. وهذا الموضوع في الفصل بين المصطلحات من حيث (النظري والتطبيقي) يحتاج الى كثير من التمعن والتدبر ولا نجد ان هذه الأوراق كفيلة في تحقيق هذا الأمر، آملاً من الباحثين الكرام بيان ذلك في بحوث مستقلة. ومبدئياً نسلم على ما اثبتاه في المتن بحسب تتبع الباحث.

٥- دلائل النظام، ص٧٤.

٦- هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون النيسابوري الفقيه الشافعي الحافظ صاحب التصانيف، رحل في طلب العلم وقرأ على الموزني وصار إماماً للشافعي بالعراق، (ت:٣٢٤هـ)، ظ: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٦٥، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٣٦.

٧- منسوب إلى قرية شهربان الواقعة شرق بغداد، وإليها ينسب كثير من أهل العلم، ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٣٦.

٨- ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٣٦، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٢/ ١٨٠.

٩- للتوسعة في نشأة علم المناسبات؛ ظ: د. عبد الحميد محمود غانم، علم المناسبات القرآنية: موضوعه ـ تطوره ـ مكانته، ص٣٢. د. الفاضل عبد الحكيم الأنيس، أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية، ص١١٠.

١٠- سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

١١- المجلسي، بحار الانوار، ٣٠/ ٦٠٦، مسلم، صحيح مسلم، ٤/ ٣٩.

١٢- سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

١٣- سورة المائدة، الآية: ٣٨.

١٤- ظ: الرازي، تفسير مفاتيح

الغيب، ١١/ ٢٢٩.

١٥- تفسير مفاتيح الغيب، ١٢/ ١١٥.

١٦- ظ: تاريخ القرآن، ص٧٧.

١٧- ظ: د. قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القراءة الى أفق التدبر، ص٢٢٤.

١٨- جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص٤.

١٩- البرهان في علوم القرآن، ١/ ٣٦.

٢٠- السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٢/ ١٣٨.

٢١- ظ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣/ ٤٥٨.

٢٢- ظ: تفسير الكشاف، ١/ ٢٩١؛ ١/ ٢٢٣؛ ١/ ٤٢٢.

٢٣- ظ: مجمع البيان، ٢/ ٣٧٥، ١/ ٢٨، ٣/ ٧، ٤/ ٣٧٥، ٥/ ١٨١ وغيرها. للتوسعة ظ: د. مرتضى الايرواني، مذاهب التفسير واتجاهاتها في القرن السادس الهجري في خراسان، ص٢١.

٢٤- تفسير مفاتيح الغيب، ١٠/ ١١٣.

٢٥- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٣٧.

٢٦- المصدر نفسه، ١/ ٣٥.

٢٧- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١/ ٤٣.

٢٨- محمود حسن، المناسبة في القرآن الكريم، ص١٠.

٢٩- ظ: سيد قطب، في ظلال القرآن؛ ١/ ٦٤.

٣٠- ظ: النبأ العظيم، ص١٥٨.

٣١- التفسير الحديث، ١/ ٧.

٣٢- للتوسعة ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١/ ٨، محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٠/ ١٩، محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ٥/ ٢٥٤.

٣٣- للتوسعة في الآراء ومناقشتها ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن،

١/ ٣٧؛ د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص٦٢، د. إقبال وافي نجم، البعد الترابطي في القرآن الكريم، ص٣٠؛ محمود حسن، المناسبة في القرآن الكريم، ص١٣.

٣٤- ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٢/ ١٣٨.

٣٥- تفسير الفتح القدير، ١/ ٧٢.

٣٦- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٢/ ٤٥١.

٣٧- التفسير الكاشف، ١/ ١٥.

٣٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٤/ ٢٦٠.

٣٩- البيان القرآني، ص١٩٥.

٤٠- ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٣٧، محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص١٥٤، د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص٥٨.

٤١- على سبيل المثال ظ: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾. سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

٤٢- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٣٧.

٤٣- النبأ العظيم، ص١٩٥.

٤٤- د. أحمد محمد الشرقاوي سالم، موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، ص٤.

٤٥- د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص٥٧.

٤٦- ظ: البقاعي، نظم الدرر في

تناسب الآيات والسور، ١/ ٦.

٤٧- مباحث في علوم القرآن، ص٩٦.

٤٨- سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

٤٩- ومنهم المستشرق لاشير ريجيس (ت:١٩٧٣م) الذي زعم ان في القرآن تداخل للعناصر المتنوعة واختلاف في مواضيعه، وكثرة تداعي الأفكار في السورة الواحدة..، ظ: القرآن: نزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره، ص٢٩-٢٧.

٥٠- ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٣٠.

٥١- ظ: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١/ ١١.

٥٢- ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/ ٣٥.

٥٣- للتوسعة ظ: إبراهيم بن سليمان آل هويمل، علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، ص١٠١، بازمول، علم المناسبات ص٣٧، محمد فقهاء، علم المناسبات في القرآن، ص٣، أحمد ماهر سعيد، علم المناسبات في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية، ص٣.

٥٤- ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، مناهج المفسرين، ص٩٩.

٥٥- ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٢/ ٢٩١، محمد بن عمر بن سالم بازمول، علم المناسبات في السور والآيات، ص٢٩، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص٤٥٠، محمد فاروق النبهان، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، ص١٤٣، نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، ص١٥٣.

٥٦- يرى بعضهم ان المراد من (يتيم) هو الانفراد وممن ليس له نظير يشاكله، فيقال درة يتيمة أي لا شبيه لها، وهذا أمر يحتاج الى امعان، كما ان السياق لا يدعمه وظاهر الآيات لا يرجحه.

٥٧- سوره الطور، الآية: ٤٩.

٥٨- سوره النجم، الآية: ١.

٥٩- سوره الحديد، الآية: ١.

٦٠- سوره الواقعة، الآية: ٩٦.

٦١- ظ: د. فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص١١٣.

٦٢- سوره الإسراء، الآية: ١.

٦٣- سوره الإسراء، الآية: ١١١.

٦٤- سوره النحل، الآية: ١.

٦٥- سوره النحل، الآية: ١٢٨.

٦٦- سوره التوبة، الآية: ٦٨-٦٩.

٦٧- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٦/ ٨٣.

٦٨- سوره البقرة، الآية: ٦.

٦٩- سوره الأعراف، الآية: ٢٦.

٧٠- تفسير الكشاف، ٢/ ٤٣٥.

٧١- سورة ص، الآية: ٤٩.

٧٢- سورة ص، الآية: ٥٥.

٧٣- السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٢/ ١١٠.

٧٤- سورة المجادلة، الآية: ١٣.

٧٥- سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.

٧٦- سورة المائدة، الآية: ٣٨.

٧٧- سورة النور، الآية: ٢.

المصادر والمراجع:

خير ما نبدأ به: القرآن الكريم.

١- أحمد ماهر سعيد نصر، علم المناسبات في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية، حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، مصر، ٢٠١٨م، العدد: ٢٥.

٢- أحمد بن محمد بن قاسم، علم المناسبات وموقف العلماء منه، مجلة شؤون العصر، اليمن، ٢٠١٠م، مجلد١٤، العدد: ٣٨.

٣- أبو الفضل الغماري الحسني، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، مكتبة القاهرة، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٦م.

٤- أحمد محمد الشرقاوي سالم، موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، مجلة كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، ١٤٢٥هـ.

٥- اقبال وافي نجم (الدكتورة)، البعد الترابطي في القرآن الكريم، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، ٢٠١٥م.

٦- البقاعي برهان الدين (ت:٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م.

٧- تيودور نولدكة، تاريخ القرآن، ترجمة: جورج تامر، دار نشر جورج المز، بيروت، ٢٠٠٤م.

٨- رشيد برقان، آليات ترابط النص القرآني، الناشر: افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٥م.

٩- الزركشي بدر الدين محمد (ت:٧٤٥هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد بن علي، دار الغد الجديد، القاهرة، ٢٠١٥م.

١٠- زياد الغاميين (الدكتور)، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، دار عمار، الاردن، ٢٠٠٧م.

١١- السيوطي جلال الدين (ت:٩١١هـ)، الاتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

١٢- طه جابر العلواني (الدكتور)، معالم في المنهج القرآني، دار السلام، ٢٠١٠م.

١٣- عبد الجليل عبد الرحيم، التفسير الموضوعي في كفتي الميزان، دار النشر عمان، الاردن، ١٩٩٢م.

١٤- عبد الحميد محمود غانم (الدكتور)، علم المناسبات القرآنية موضوعه ـ تطوره ـ مكانته، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، ١٤٢٥هـ، العدد: ١٥٠.

١٥- الفاضل عبد الحكيم الأنيس (الدكتور)، أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية، مجلة الأحمدي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث في دبي بالإمارات العربية المتحدة، جمادى الأولى ١٤٢٣هـ، العدد١١.

١٦- الفيروز آبادي محمد بن يعقوب (ت:٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٧م.

١٧- قطب الريسوني (الدكتور)، النص القرآني من تهافت القراءة الى أفق التدبر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مصر، ٢٠١٠م.

١٨- لاشير ريجيس (ت:١٩٧٣م)، القرآن: نزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره، ترجمة: رضا سعادة، دار الكتاب، بيروت، ١٩٧٤م.

١٩- محمد رجب البيومي (الدكتور) (ت:٢٠١١م)، البيان القرآني، مجمع البحوث الإسلامية، دار النصر للطباعة، مصر، ١٩٧١م.

٢٠- محمد الموسوي المقدم (الدكتور) وآخر، التناسب في ترتيب نزول السور القصار سورة العلق والقلم والمزمل أنموذجاً، مجلة المصباح، العتبة الحسينية المقدسة، العراق، السنة ٧، العدد ٢٧.

٢١- محمد بن عمر بن سالم بازمول، علم المناسبات في السور والآيات، مكتبة مكة، السعودية، ٢٠٠٢م.

٢٢- محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، منشورات الرضا، بيروت، ٢٠١٣م.

٢٣- محمد عبد الله دراز (الدكتور)، النبأ العظيم، دار الفقه للطباعة والنشر، إيران، ١٤٢٧هـ.

٢٤- محمد صادق الرافعي، إعجاز القرآن، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت، ط: ٨، ٢٠٠٥م.

٢٥- محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، مناهج المفسرين، دار حدود، بيروت، ط٢، ٢٠٢٠م.

٢٦- مرتضى الايرواني (الدكتور)، مذاهب التفسير واتجاهاتها في القرن السادس الهجري في خراسان، مجلة رسالة التقريب، ١٤١٧هـ، العدد ١٢.

٢٧- مصطفى مسلم (الدكتور)، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط٨، ٢٠١٣م.

٢٨- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

٢٩- ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

٣٠- نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنارة، جدة، ١٩٩١م.